التشطير .. جبروت البراميل!!

محمد عبدالله السيد

،، التشطير.. كتاب أسود، لا يزال يحمل بين دفتيه ذكريات ومآسي مؤلمة، حيث دفع الإنسان اليمني وحده ثمن ذلك فاتورة مؤلمة من حياته ودمه.. ففي «كرش» و«الراهدة» يمر الوقت ثقيلاً وتكاد عقارب الساعة أن تتوقف !! وهنا تصدر الأحكام بمجرد «الشك» وتغتالك التهم بـ«المجان» فالمكانان اللذان لا تفصلهما سوى ١٠ دقائق فقط، قد يجبرك حظك الأسود على البقاء يوماً كاملاً أو يومين!! أما من يركب رأسه ويحاول الإستهانة ببراميل «كرش والشريجة» فإن السجن والغرامة المالية، أقل مكافأة تسلمها له عيون العسكر التي أجادت لعبة فن الإيقاع بضحاياها!! وهناك داخل الجدران الأربعة بين الأجهزة سيل من التهم التي تطاردهم أقلها «الخيانة والعمالة»!! فقد كانت تدور معارك معلنة بين أجهزة الأمن في الشطرين، ضحاياها في الغالب مواطنون أبرياء يسقطون بالجملة، في ظل ازدهار «أجهزة الاستخبارات في عهد التشطير بين شمال وجنوب الوطن!!

ربيع الاستخبارات يزدهر

إن الطريق إلى عدن أو إلى صنعاء في عهد التشطير لم يكن مفروشاً بالورود، بل إنه طريق شائك مفخخ بمئات الألغام، فالمواطن المتنقل بين الشطرين بواسطة التصريح، عادة ما يخضع إلى المساءلة من قبل الأجهزة الأمنية..

كما أن إخراج المواطن للتصريح يحتاج إلى ضمين أو معرف، ورسالة من «مرفق عمله» أو «عاقل» الحارة وعليه أن يمر من طريق برية واحدة وطريق الشريجة – الراهدة أو عن طريق المطار، حيث يصل بعض المتنقلين أو المسافرين إلى عدن أو صنعاء إلى «غرف التحقيق» لمجرد أن واحداً من رجال الأمن شك في واحد منهم، أما من يصل بجواز سفر من الخارج ويكون من الشطر الآخر ، فإن الجواز يحتجز ولا يسلم له إلا عند السفر، هذا إذا لم يكلفه ذلك استجواباً أو اعتقالاً..

لقد عكس التوتر بين الشطرين حالة من الحياة المتأزمة لدى المواطنين وصل عند بعض الموظفين في جنوب الوطن بأن يرهن حقوقه أو ضمانه الاجتماعي كضمان لعودته أو يقدم ضمانة تجارية.

وفي شمال الوطن عليه أن يمر عن طريق تعريف «عاقل» الحارة ويقدم ضماناً بذلك..

وبفعل المعارك بين الأجهزة الأمنية في الشطرين، كان استخراج ترخيص السفر يحتاج إلى أسابيع من المتابعة والمراجعة والفحص الذي تقوم به عادة الجهات الاستخبارية في الشطرين للتأكد من الشخص.

حيث كان ينظر للقادم من عدن إلى صنعاء كأنه «مخرب» ومن صنعاء إلى عدن وكأنه «مهرب»..

يؤكد الكثير من السياسيين والكتاب، أن تلك الوضعية قد أوجدت مآسي وعذاباً لأولئك الذين يضطرون للتنقل من شطر إلى آخر لقضاء غرض ما.

وهو ما عمل على إيجاد حالة من القطيعة الكاملة بين الأسر بسبب الخوف، يظل الكثير لا يزورون أهلهم عدة سنوات.

وخلال فترة منع السفر والتي استغرقت زهاء ١٨عاماً، كانت أثناءها أجهزة الأمن في شطري الوطن اليمني تتطور وتتسع مهامها وصرفياتها السرية.

إنها القوى الساهرة للبحث عن المعلومات وعن خطط بعضهم أو التحقيق مع المشكوك فيهم!!

لقد عاشت الأجهزة الأمنية في الشطرين، معارك غير معلنة، فقد تم ابتداع مكتب محاربة «الشيوعية» في الأمن الوطني في صنعاء، ومكتب «الشماليين» في أمن الدولة بعدن..

لذا فقد كان تنقل المواطنين بين الشطرين يجد صعوبات لا حصر لها، تمخضت في مجملها عن مآسٍ وآلام ودموع.

الطريق إلى عدن

■ بدون مقدمات أو وداع قرر الرحيل ولكن دون هدف محدد فغادر جبل صبر متوجهاً إلى تعز وتحديداً إلى منطقة «العُرضي» حيث تسلل إلى إحدى سيارات القات التي كانت تتهيأ للتوجه إلى عدن، إنه محمد محمد مهيوب الذي غادر تعز في الخمسينيات، فسأل عنه والده الحجر والبشر دون جدوى، ليستقر الحال في عدن، حيث عاش هناك بإسم عبدالرقيب صالح.

وبحسب شقيقه عبدالله محمد مهيوب، فقد كانت أول زيارة له إلى تعز عام١٩٦٩ م حيث جاء أخي إلى مكان اسمه «باب موسى» اعتاد الناس في صبر التجمع فيه، وهناك سأل عن الوالد وعمته، فأرشده الحضور عليّ حيث كنت أملك إحدى البسطات في المكان، وهناك كانت المفاجأة التي لم أثق بها أو بحقيقتها إلا عندما اصطحبت أخي إلى والدي حيث شاهدت لأول مرة في حياتي لحظات حزينة وسعيدة ومؤلمة..

ويضيف عبدالله «لقد زارنا أخي محمد مرة أخرى في الثمانينيات، عندما توفي والدي، حيث جاء بمفرده، وذهبت أنا لإحضار عائلته من عدن، إلا أن السلطات حينها اشترطت بقاء أحد الأفراد كشرط للسماح بالسفر، فتركنا الطفلة، «شيماء» عند جدها!!

وحول حادثة تغيير إسم أخي من «عبدالرقيب صالح إلى محمد مهيوب» اسمه الحقيقي الأول، يقول عبدالله :«عندما حاول أخي أن يصحح اسمه وشهادات ميلاد أطفاله في عدن، تعرض للمساءلة والسجن ولم يتم الإفراج عنه، إلا بعد إحضاري أحكاماً معمدة وشهوداً من المناطق الشمالية تؤكد صحة الإسم!!

سين جيم

■ وحول إجراءات التنقل يقول أحمد عبده سيف «لا شك أن إجراءات التنقل بين الشطرين كانت صعبة ومعقدة، حيث تتعرض لسيل من التساؤلات من هذا الطرف أو ذاك..، لماذا ستسافر ومن هم أصدقاؤك أو الأقرباء الذين سوف ستصل إليهم، وأين يقيمون وكم ستجلس هناك .... ولا تصل إلى المكان الذي تقصده إلا بعد أن يبلغوا بك من نقطة لأخرى، فمثلاً إذا أردت زيارة عدن، عليك تقديم طلب إلى الجهات المعنية في الشمال والذين بدورهم يطلبون منك إحضار كفيل أو معرف يشهد بأن لك أهلاً في عدن أو أي مدينة جنوبية تريد زيارتها .

وفي كرش تخضع لإجراءات كثيرة، وعندما تصل إلى الطرف الآخر في الشريحة.. تبدأ مرحلة جديدة من العذاب، وهات يا تساؤلات أغربها كم معك فلوس ؟! أما إذا تجاوزت هذه النقطة، فإنك تجد بانتظارك نقاطاً أخرى أهمها «جول مدرم ودار سعد» في كل نقطة يتواجد أكثر من ٧ أو ١٠ أشخاص ما بين عسكري وضابط ورجال أمن بلباس مدني، لا تدري ما طبيعة عملهم، وكل واحد منهم يتفنن بالسؤال الذي يناسب مزاجه!!

عروس بزي راعية

■ وعلى الرغم من ذلك، إلا أن براميل التشطير لم تستطع أن تفصل بين أبناء الوطن الواحد، الذين ازدادت علاقاتهم الاجتماعية توحيداً ، رغم الأساليب والإجراءات الظالمة التي كانت تكرس على تشطير الأهل والنفوس!!

فالأعراس التي كانت تتم بين الأسر في الشطرين لم تتوقف، فتحدياً للحواجز الوهمية المصطنعة ، نجحت إحدى الفتيات في تجاوز نقاط الحدود، هروباً إلى عريسها في الشمال متخفية بزي راعية، حيث وصلت إلى قعطبة« قادمة من الضالع، بعد أن تم منع سفرها في موكب العرس القادم من قعطبة التي كانت تتبع محافظة إب، بحجة أنها تعمل في اللجان الأمنية النسائية، حيث كان لا بد من الانتظار أسبوعاً لاستكمال إجراءات السفر والحصول على الأذن من وزارة الداخلية في الجنوب..

حيث وجدت العروس على الجانب الآخر من الحدود، عريسها ينتظرها مع حشد من الأهل والأقارب فتم إطلاق الأعيرة النارية في السماء ابتهاجاً بمشاركة العسكر من حراس الحدود بمقدم العروس!!

قائمة طويلة من الطلبات!!

ويقول مجاهد سيف اليتيم، لقد كان تعامل الجهات الأمنية في شطري الوطن سابقاً صعباً جداً، فإذا أردت مثلاً أن تزور جنوب الوطن، كان يطلب منك تقديم طلب إلى الأمن الوطني في الشمال، ثم يطلب منك الحضور بعد نصف شهر لتتسلم استمارة ويتم فيها تدوين بياناتك، وبعد حصولك على موافقة الجهات الرسمية، تعبر منطقة الحدود، الشمالية، لتبدأ رحلة أخرى من العذاب، حيث تنتظر على الجانب الآخر لمدة ثلاثة أيام وذلك حتى تأتي الموافقة من السلطات الأمنية في الجنوب ، وقد تفاجأ بالرفض!! أما إذا حصلت على الموافقة بالدخول، فإنه يجب عليك ذكر إسم من ستقيم عنده ورقم بطاقته التموينية، ليتم إعطاؤك تصريحاً بالإقامة لمدة لا تتجاوز شهراً واحداً، وإذا ما أردت إحالة أو تمديد إقامتك، فإنه يطلب منك الحصول على إذن بالموافقة من جهاز أمن الدولة.

وإذا أردت المغادرة فإنه يتطلب منك إشعار الجهاز الأمني بالمغادرة ليتم إعطاؤك إذناً بالخروج، حينها لا يمكنك التأخر حتى لساعة واحدة..

وإذا كان لديك سيارة وتريد الخروج إلى جنوب الوطن، فإنه يتم احتجازها في حوش مخصص لذلك بمنطقة «دار سعد« أما إذا أردت التنقل بسيارتك، فإنه يتم إعطاء السيارة رقم آخر يكتب عليه «اليمن الشمالي»..

كابوس اسمه «التشطير»

■ أما عبده النجار فيقول «عندما نتحدث عن التشطير فإننا نتحدث في واقع الأمر عند مأساة حلت بنا وجثمت على صدورنا ردحاً من الزمن.. عندما نتكلم عن التشطير ، فإننا نقلب صفحات مظلمة في تاريخ أسود..، فقد شهدت مناطقنا الحدودية صراعات دموية، تذوقنا فيها مرارة وويلات الحروب، حيث زرعت الجبال بالألغام، لجبال العود وعمار ومضرح ومريس وشيبة، حصدت أرواحاً بريئة من خيرة شباب تلك المناطق، حيث هذه الألغام لا تزال حتى اليوم كامنة تحت التراب، تذكرنا متى شاءت وبمن شاءت!!

والجميع يدرك كم عانى أبناء المناطق الحدودية إبان التشطير، حيث نزح الكثيرون جراء اندلاع الحروب بين الشطرين واشتداد التوتر والنيران بهذه المناطق التي تحولت إلى ساحات للصراع التشطيري!!

رحلة البحث عن «رخصة سفر»

■ ولا تتوقف مآسي وحكايات التشطير عند ذلك فحسب، بل إن مسلسل الآلام والأحزان لا يزال مستمراً وبصور مختلفة، فها هو الحاج علي إبراهيم يروي حكايته في زمن التشطير البغيض ، حيث يشير إلى أنه قبل استقلال جنوب الوطن كان التنقل سهلاً بين شطري الوطن، لكن بعد الـ ٣٠من نوفمبر ١٩٦٧م اختلف الوضع تماماً، حيث تم إغلاق الحدود وازدادت معها مآسي الإنسان اليمني في الشطرين، ويقول: «لم يكن يسمح لنا بزيارة الأهل في القبيطة إلا بعد استخراج رخصة سفر، كما كان لا يسمح لنا بحمل أكثر من ألف شلن فقط، علماً بأن الرخص كانت تأخذ لها أسابيع لاستخراجها حيث كانت تزداد معاناتنا عندما تكون أهداف سفرنا إلى تعز لحضور زواج أو لحدث طارئ لتقديم العزاء وغيره، وإذا سمح لنا بالسفر والمغادرة عبر نقطة كرش أو طور الباحة، فإنه كان يتوجب علينا العودة للتأكيد للمعنيين أننا ما زلنا وعلينا هنا الإجابة على تساؤلات الأجهزة الأمنية: من قابلت وماذا عن تحركاتك أثناء سفرك في القرية..

حلم راودني طويلاً

■ أما محمد الحكيمي فيؤكد بأن زيارة شمال الوطن، كان حلماً ظلّ يراوده طويلاً إلى أن تحقق هذا الحلم عام ٨٩ م وهو العام الذي صدر فيه قرار يسمح بالتنقل بين شطري الوطن بالبطاقة الشخصية .. ويضيف الحكيمي «لقد كنت أعيش في منطقة المنصورة بمحافظة عدن، فيما جزء من أسرتي يعيش في تعز، ولم يجتمع شمل الأسرة، إلاّ بعد مرور نحو تسع سنوات من الشتات وقبل ذلك، كان التواصل منقطعاً بيننا وفي بعض الأحيان، عبر الرسائل التي ينقلها سائقو السيارات أو البريد أو عن طريق أشخاص!!

فالمسافر من عدن إلى تعز أو العكس ، عادة ما كان يخضع إلى التوقف في منطقة الشريجة ما بين ٢-٣ ساعات، وذلك بغرض التفتيش والمساءلة من قبل الجانبين، حيث تشعر وكأنك على الحدود الدولية وليس في جزء من وطنك!!

فتاة تفشل في استخراج هوية لها في الشطرين

■ وفي قصة أغرب من الخيال، تروي الأخت «ب، م الأغبري« حكاية ضياع هويتها فقد شاءت الأقدار أن تغادر مع أسرتها إلى عدن قادمة من تعز، وهي لا تزال بعمر الزهور لتتلقى تعليمها الأساسي في مدارس عدن، لكنها شعرت بالصدمة هي وأفراد أسرتها عندما لم تستطع الحصول على بطاقة شخصية، لإتمام عملية زواجها بإبن عمها الذي يقطن تعز وهو زواج كان مقرراً له أن يتم بـ«الوكالة» حيث باءت جهود والدها باستخراج بطاقة شخصية لها بالفشل، فهي بنظر الجهات المعنية هناك ليست عدنية ، بل «جبلية، وهي تسمية اشتهر بها الشماليون في جنوب الوطن..

فاتخذت الأسرة قرار السفر إلى تعز لاستكمال الزواج بعد أن أخذت الجهات الأمنية منهم ضمانة مالية وشخصية بضمان عودتهم..

وفي تعز قررت الأسرة، تكرار محاولة استخراج بطاقة لابنتها، وهنا تكرر نفس المشهد، حيث قوبل طلبها بالرفض، فهي بنظرهم «عدنية» وليست شمالية !! لتفشل الفتاة مرتين في إثبات هويتها بأنها يمنية.. باختصار إنها لعنة التشطير ، حيث تظهر مصطلحات وتسميات مقيتة «جبّالية» في الجنوب و«عدنية» في الشمال!!

■ «كرش- الراهدة» الوقت يمر ثقيلاً وعقارب الساعة «تتوقف»!!

■ مسافرون يصلون إلى «غرفة التحقيق» بمجرد «الشك»!!

■ جهاز «محاربة الشيوعية» في صنعاء ومكتب «الشماليين بعدن.. العمالة.. الخيانة تهم مجانية!!

■ معارك غير معلنة بين الأجهزة الأمنية، ضحاياها أبرياء يسقطون بالجملة!!

■ رفضوا منحها هوية، فهي في الجنوب «جبلية» وفي الشمال «عدنية»!!

■ عروس تجتاز مناطق العبور بزي راعية وسط «زغاريد» نيران العسكر

■ ودّع تعز باسم «محمد» وعاش في عدن بشخصية «عبدالرقيب»

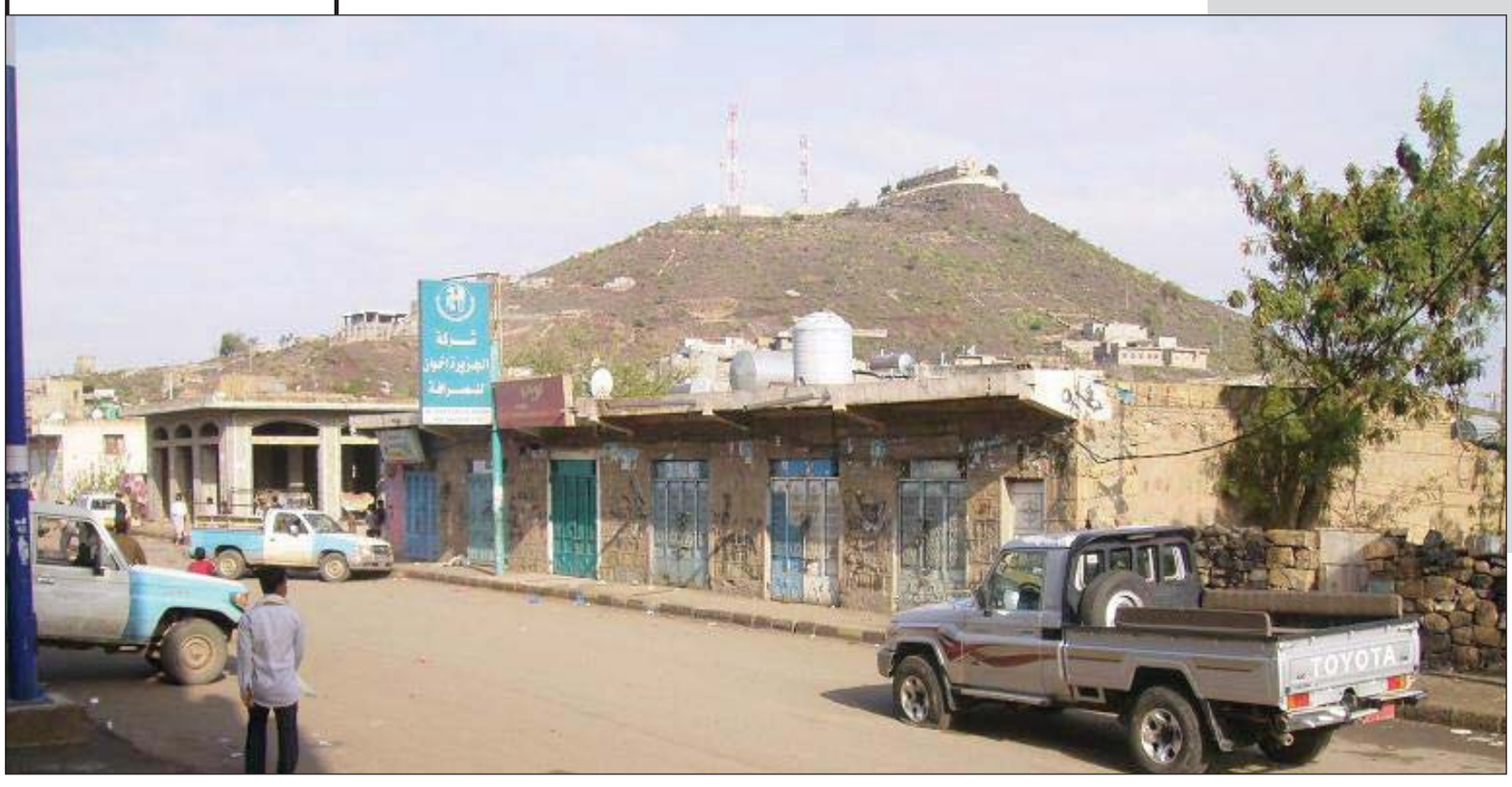

القضية الجنوبية لا تعني الانفصال وإنما تعني البحث عن العدالة والمواطنة المتساوية

عبدربه منصور هادي
رئيس الجمهورية